

تعلیقاتی بر خطبه امامت امام رضا علیه السلام نقل از کتاب لوامع الانوار شرح عیون اخبار الرضا علیه السلام -
سید نعمه الله جزایری، عبدالحسین طالعی
فصلنامه تخصصی مطالعات قرآن و حدیث سفینه
سال یازدهم، شماره ۴۲ «ویژه پژوهش‌های رضوی»، بهار ۱۳۹۳، ص ۱۶۷- ۱۷۴

تعلیقاتی بر خطبه امامت امام رضا علیه السلام نقل از کتاب لوامع الانوار شرح عیون اخبار الرضا علیه السلام

سید نعمه الله جزایری

به کوشش: عبدالحسین طالعی *

چکیده: این گفتار، شرحی است کوتاه بر خطبه امام رضا علیه السلام در وصف مقام امامت، که از کتاب چاپ
نشده لوامع الانوار فی شرح عیون اخبار الرضا علیه السلام نوشته سید نعمت الله جزایری نقل شده است.
کلیدواژه‌ها: امامت - بیان امام رضا علیه السلام / عیون اخبار الرضا علیه السلام (کتاب) / لوامع الانوار فی شرح عیون اخبار
الرضا علیه السلام (کتاب) / جزایری، سید نعمت الله.

*. عضو هیئت علمی دانشگاه قم، دانشجوی دوره دکترای دانشگاه آزاد اسلامی، واحد علوم و تحقیقات Taleie20@gmail.com

محدث جلیل سید نعمة الله جزایری (متوفی ۱۱۱۲) آثار زیادی در شرح کتابهای حدیثی شیعه امامیه دارد که بسیاری از آنها هنوز منتشر نشده و نسخه‌های خطی آنها در کتابخانه‌ها محفوظ مانده است.

یکی از آنها کتاب لوامع الانوار فی شرح عیون الاخبار است که در شرح کتاب عیون اخبار الرضا علیه السلام اثر گرانقدر شیخ صدوق است که نسخه خطی آن در کتابخانه مرکز احیاء میراث اسلامی قم موجود است. و عکسی از آن در کتابخانه تخصصی امام رضا علیه السلام در قم موجود است.

از آنجا که این اثر در موضوع خود (شرح کتاب عیون) بی‌مانند یا کم‌مانند است، نگارنده این سطور بخشی از آن را که در شرح خطبه توحیدیه امام رضا علیه السلام است، در فصلنامه سفینه شماره ۴۰ (ویژه پژوهشهای رضوی) انتشار داد.

اینک در این فرصت، تعلیقات محدث جزایری بر خطبه جامع امامت امام رضا علیه السلام منتشر می‌شود.

متن این خطبه را ثقة الاسلام کلینی در کافی (ج ۱ ص ۱۹۹)، نعمانی در غیبت (ص ۲۱۷)، و شیخ صدوق در کتاب عیون اخبار الرضا علیه السلام (ج ۱ ص ۲۱۷) روایت کرده‌اند. آنچه در پی می‌آید، تعلیقات مرحوم محدث جزایری بر این خطبه به روایت صدوق در عیون است. و الحمد لله رب العالمین.

هل يعرفون قدر الإمامة و محلّها من الأمة

یعنی: آنّ نصب الإمام موقوف علی العلم بصفاته و شرایط الإمامة، و هم جاهلون بها، فكيف يمكنهم نصب الإمام و تعيينه؟

و عن ابی جعفر علیه السلام قال: كانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى، و كانت الولاية آخر الفرائض، فأُنزل الله عزوجل: "اليوم اكملت لكم دينكم"، يقول الله عزوجل: لا انزل بعدها فريضة. (الكافي ج ۱ ص ۲۸۹)

و أَمْنَعُ جَانِباً

من أن يصل إلى فهم حقيقتها عقول الناس.

فقال الخليل سروراً بها: و من ذريتي؟

عطف على الكاف [انى جاعلك] و يسمى عطف التلقين، كأنه قال: و جاعل بعض ذريتي؟

و قال الصادق عليه السلام: من عبد صنماً أو وثناً لا يكون اماماً. (بصائر الدرجات ج ١ ص ٣٧٤؛ الكافي ج ١ ص ١٧٥؛ الاختصاص ص ٢٣)

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: الظالمين اى: المشركين، لأنه سمى الشرك ظلماً بقوله: "إنَّ الشرك لظلم عظيم". (الاحتجاج ج ١ ص ٢٥١)

فلما علم إبراهيم أنَّ عهد الله بالإمامة لا ينال عبدة الأصنام قال: "و اجنبى و بنى أن نعبد الأصنام".

قال الشيخ طاب ثراه فى التبيان: "استدل أصحابنا بهذه الآية على أنَّ الإمام لا يكون إلّا معصوماً لأنَّ من لم يكن معصوماً فهو ظالم إمّا لنفسه أو لغيره. فإن قيل: إذا تاب لا يسمى ظالماً.

قلنا: إذا تاب لا يخرج من تناول الآية فى حال كونه ظالماً و لم يقيد فى الآية أنه لا ينالها فى هذه الحال دون غيرها فيجب أن تحمل الآية على عموم الأوقات فى ذلك فلا ينالها و إن تاب".
أقول: قال صاحب الكشاف: "فى الآية دليل على أنَّ الفاسق لا يكون إماماً".

إنَّ أولى الناس بإبراهيم

أى: أخصهم و أقربهم و أحقهم بمقامه.

و مبنى الاستدلال على أنَّ المراد بالمؤمنين الائمة سلام الله عليهم كما هو مؤدى الأخبار؛ أم على الإمامة انتهت إلى النبىِّ ﷺ، و هو لم يستخلف غير على عليه السلام.

و قال الذين اتوا العلم و الإيمان

أى: من الملائكة و الإنس.

لقد لبثتم

يا آل محمد ائمة.

فى كتاب الله

أى: علمه أو لوح المحفوظ أو القرآن.

إلى يوم القيامة

و هذا بطن من بطون الآية.

فى غياهب الدجا و البلد القفار

الدجا: الظلام، و الغياهب: شدته، و القفار: المفازة الخالية من الماء و الكلاء.

لجج البحار

اللجة: معظم.

و الغيث الهاطل

الهطل: تتابع المطر.

والذاب عن حرم الله

الحرم بضمّ الحاء و فتح الراء: جمع حرمة، و هى ما لا يحلّ انتهاكه و تضييعه، اى: يدفع الفساد عمّا أمر الله بتعظيمه من الكتاب و الأحكام و الشرايع.

و بوار الكافرين

البوار: الهلاك.

و حصرت الخطباء

الحصر: العى فى المنطق.

و يغنى غناه

الغنا بالفتح: النقع

كذبتهم والله انفسهم

كذبتهم بالتخفيف اى: قال لهم كذبا. أو بالتشديد يعنى: إذا رجعوا إليها و حكموها شهدت بتكذيبهم.

أنى يؤفكون

الإفكة الكذب. و الانقلاب: اى: إلى اين ينقلبون و يصرفون وجوههم عن الحق إلى غيره. و منه حديث أنس: البصرة أحد المؤتفكات، يعنى انها غرقت مرتين، فشبه غرقها بانقلابها.

ما لكم كيف تحكمون

الآية هكذا: "أفجعل المسلمين كالمجرمين؟" لأنهم كانوا يقولون: إن كان بعث كما يقوله محمد؛ فإن حالنا يكون فى الآخرة أفضل كما فى الدنيا.

و قوله "ما لكم كيف تحكمون" توبيخ لهم، اى: اى عقل يحملكم على تفصيل الكفار حق صار

سبباً لإصراركم على الكفر؟ و لا يحسن فى الحكمة التسوية بين الأولياء و الأعداء فى دار الجزاء.

أم لكم

أى: بل لكم.

كتاب تدرسون

ذلك و انتم مستمسكون به.

إن لكم

فيه اى تدرسون بأن لكم.

فيه ما تخيرون

به عند أنفسكم ام لكم عهود و موثيق عاهدناكم بها فلا تنقطع الى يوم القيامة؟

إن لكم لما تحكمون

به لأنفسكم من الخير. سلهم يا محمد ايهم كليل لهم بأن لهم فى الآخرة تبا (?) للمسلمين؛

ام لهم شركاء فى العبادة مع الله و هى الأصنام؟

فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين

فى انها شركاء.

و الاستشهاد بالآية، اما اولاً: فمن قوله "ما لكم كيف تحكمون" اى: أتحكمون بأن المسلمين

مثل الظالمين الذين كانوا يعبدون الاوثان فى استحقاق الامامة.

و اما الثانية فبقوله تخيرون و تحكمون، يعنى: ليس لكم الاختيار فى شىء، فكيف بالامامة التى

هى أعظم أركان الدين؟

إن شرّ الدواب عند الله

أى: ما يدب على وجه الأرض؛ أو إن شرّ البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من

جنس البهائم، ثم جعلهم شرّها.

و لو علم الله فيهم خيراً

أى: انتفاعاً باللطف.

لأسمعهم

أى: للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين.

و لو أسمعهم

أى: لو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف، فلذلك منعهم أُلطافه؛ أو: و لو لطف بهم و صدقوا لارتدّوا

بعد ذلك.

و بالجملة ليس المراد بقوله "و لو أسمعهم" مطلق السماع حتى ينتج القياس لو أسمعهم لتوّلوا كما ظنّه بعض أفاضل العربية، بل المراد: لو أسمعهم و هم على تلك الحال التي لا يعلم الله فيهم خيراً لتوّلوا. فهو كالتأكيد و التعليل لسابقه.

قيل: هم بنو عبدالدار، لم يسلم منهم إلّا رجلان و كانوا يقولون نحن صمّ بكم عمّا جاء به محمد ﷺ فقتلوا جميعهم بأحد. و قيل: هم المنافقون أو أهل الكتاب.

راع لا ينكل

بالضمّ أى: لا يجبن.

و النسك

بالضمّ: العبادة، و الجمع بضمّتين.

مخصوص بدعوة الرسول

أى: بنصّ الرسول ﷺ بالإمامة. و قيل: المراد دعوة الخلق التي كانت للرسول ﷺ، كما قال له جبرئيل عليه السلام في تبليغ سورة براءة إلى أهل الموسم: "لا يبلغها إلّا أنت أو رجل منك" (المستترشد، ص ٣٠٢ و ٣١١ و ٣٣٩؛ الخصال ج ٢ ص ٣٦٩ و ٥٥٨؛ معاني الاخبار ص ٢٩٨). و قال: "ادعو إلى الله على بصيرة أنا و من اتّبعنى".

أو: المراد دعاؤه صلى الله عليه و آله في قوله: "اللهم وال من والاه" و قوله: "اللهم ارزقهم فهمى و علمى". (رزقهم الله ... ، أعطاهم الله الإمامة و التبصرة ص ٤٢، ٤٣ و ١١١؛ كفاية الاثر ص ١٢٩، ١٣٧، ١٥٤، ١٦٦، ١٦٨ و ١٨٤؛ امالى صدوق ص ٢١٧ و ٦٧٣؛ الخصال ج ٢ ص ٥٥٨)

المطهرة البتول

من البتل بمعنى القطع لأنّ الزهراء سلام الله عليها مقطوعة عن صفات النساء من كلّ جهة و منقطعة إلى ربها سبحانه فهي الإنسيّة الحوراء.

لا يغمز فيه فى نسب

أى: لا يطعن فى نسبه، كما وقع الطعن فى أنساب الخلفاء [...] و قد استقصينا على معنى هذين البيتين فى المجلّد الثانى من كتاب الأنوار [الأنوار النعمانية] و نقلنا من كتب علماء الإسلام أنّ الخلفاء و الصحابة الذين غدروا بأمر المؤمنين عليه السلام و أولاده الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين كلّهم كانوا من الزنا، سوى أبى بكر و الزبير، و وجه الحكمة فيهما ظاهر.

مضطلع بالإمامة

أى: قوى على القيام بأحوالها.

أفمن لا يهدى إلى الحق أحق أن يتبع إلا أن يهدى
اصله يهتدى. و لما ادغم كسرا لها للالتقاء الساكنين.

و عن أبى عبدالله عليه السلام: لقد قضى أمير المؤمنين عليه السلام فى ولاية أبى بكر، و كانت أول قضية قضى بها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. فلم يعرفها ابوبكر و عمر، فرجعا إلى أمير المؤمنين عليه السلام. فلما حكم بما قال له سلمان ارشدتهم. قال عليه السلام: أردت أن اجد تأكيد هذه الآية فى و فيهم، أفمن يهدى الى الحق - الآية. (الكافى ج ٧ ص ٢٤٩)

و كان فضل الله عليك عظيما

فى الكافى: انزل عليك الكتاب و الحكمة و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما.

اقول: الغرض من ايرادها هو أن الله تعالى امتن على نبيه صلى الله عليه وآله بإنزال الكتاب و الحكمة وإيتائه نهاية العلم، و عدد ذلك فضلا عظيما، و أثبت ذلك الفضل لجماعة من تلك الأمة بأنهم المحسودون على ما آتاهم الله من فضله. ثم بين أنهم من آل ابراهيم فهم الائمة عليهم السلام. و الفضل: العلم و الحكمة و الملك؛ مع انه يظهر من الآيتين ان الفضل و الشرف بالعلم و الحكمة، و هم عليهم السلام اعلم من غيرهم ممن نازعهم فى الامر.

و منه يظهر الاستشهاد بقوله تعالى: "و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله"

قال امين الاسلام الطبرسى تغمده الله برحمته: معناه بل يحسدون الناس، و المراد النبى صلى الله عليه وآله و اهل بيته؛ حسدوه على ما آتاه الله من النبوة و إباحة تسع نسوة. و قالوا: لو كان نبيا لشغله النبوة عن ذلك.

فبين الله سبحانه أن النبوة ليست ببدع فى آل ابراهيم، فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب و الحكمة يعنى النبوة. و آتينا داوود و سليمان الحكمة؛ و كان لداوود تسع و تسعين امرأة و لسليمان ألف امرأة؛ فلا معنى لحسدكم محمدا صلى الله عليه وآله على هذا، و هو من اولاد ابراهيم، و هم كانوا اكثر تزويجا و اوسع مملكة.

و قال ابو عبدالله عليه السلام: نحن المحسودون الذين قال الله فى كتابه: ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله (بصائر الدرجات ج ١ ص ٢٠٢، تفسير العياشى ج ١ ص ٢٤٧، الكافى ج ١ ص ١٨٦، مناقب ابن شهر

آشوب ج ۱ ص ۲۸۵ و ج ۴ ص ۲۱۵)

قال: و المراد بالكتاب النبوة، و بالحكم الفهم و القضاء، و بالملك العظيم افتراض الطاعة.

فتعسا لهم

التعس: الهلاك و الانحطاط

كبر مقتا عند الله

الآية هكذا: الذين يجاهدون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله
فقلوه "الذين يجاهدون" مبتدا و "كبر مقتا" الخبر؛ اى: جدال الذين جادلوا بغير حجة كبر مقتا؛ و
"يطبع الله" كلام مستأنف.
و الإستشهاد بالآية ظاهر كما لا يخفى.

